الطائشة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال صاحبُها وهو يُحدثني من حديثها :

كانت فتاةً متعلّمةً حلوةَ المنظر ، حلوةَ الكلام ، رقيقةَ العاطفة ، مرهفةَ الحسّ ، فى لسانها بيانٌ ، ولوجهها بيانٌ غيرُ الذى فى لسانها تعرف فيه الكلامَ الذى لا تتكلم به . . .

ولها طبعٌ شديدُ الطَّرَبِ للحياة ، مُسترسِلٌ فى مرَحه خفيفٌ طيّاشٌ ، لو أثقلتَه بجبَلٍ لخفّ بالجبل ؛ تحسبُها دائماً سكرَى تتمايلُ من طربها ، كأنّ أفكارَها المرحةَ هى فى رأسها أفكارٌ وفى دمها خمر . . . .

وكان هذا الطبعُ السكرانُ شباباً وجمالاً وطرَباً — يعمل عملين متناقضين ، فهو دلالٌ متراجعٌ منهزم ، وهو أيضاً جرأةٌ مُندفعةٌ متهجِّمة . وهزيمةُ الدلال فى المرأة إنْ هى إلا عمَلٌ حربيٌّ مُضمَرةٌ فيه الكرَّةُ والهجوم ؛ وكثيراً ما ترى فيها النظرةَ ذاتَ المعنيَين : نظرةٌ واحدةٌ تُؤنّبك بها المرأةُ على جَراءتك معها ، وتَتدلّلُ بها أيضاً على أنك لستَ معها أجرأ مما أنت . . . !

***

قلتُ : ويحكَ يا هذا ! أتعرفُ ما تقول ؟

قال : فمَنْ يعرفُ ما يقول إذا أنا لم أعرف ؟ لقد أحببتُ خمسَ عشرة فتاة ، بل هُنّ أحببنني وفرّغْنَ قلوبهن لى ، ما اعتزّتْ علىّ منهن واحدة ، وقد ذهبن بى مذهباً ولكنى ذهبتُ بهن خمسةَ عشر !

قلت : فلا ريبَ أنك تحملُ الوسامَ الابليسيَّ الأوّل من رتبة الجرة . . . . . . فكيف استهام بك خمسَ عشرةَ فتاة ، أجاهلاتٌ هنّ ، أعمياواتٌ هن . . . ؟

قال : بل متعلمات مُبصرات يَرينَ ويُدرِكن ، ولا تخطئ واحدةٌ منهن فى فهم أن رجلاً وامرأةً قصّةُ حُبٍّ . . . . . وما خمسَ عشرةَ فتاة ؟ وما عشرون وثلاثون من فتيات هــذا الزمن البائر ، الذى كسد فيه الزواجُ ، ورقَّ فيه الدين ، والتهبت العاطفة ، وكثرتْ فنونُ الاغراء ، واصطلح فيه إبليسُ والعلمُ يعملان معاً . . ؛ وأطلقتِ الحرّيةُ للمرأة ، وتوسعتْ المدارسُ فيما تقدِّم للفتيات ، وأظهرتْ من الحفاوة بهن أمراً مُفيرِطاً حتى أخذن رُبع العلم . . . ؟

قلت : وثلاثةُ أرباعِ العلم الباقية ؟

قال : يأخذنها من الروايات والسيما . علْمُ المدارس ، ما علمُ المدارس ؟ إنهن لا يصنعن به شيئاً إلا شهاداتٍ هى مكافأةُ الحفظ وإجازةُ النسيان من بَعد ؛ أما علمُ السيما والروايات فيصنعن به تاريخهن . . ورُبَّ منظرٍ يشهده فى السيما ألفُ فتاة عزّةٍ واحدة ، فاذا استقرّ فى وَعيهنّ وطافت به الخواطرُ والأحلام — سَلبهنّ القرارَ والوقارَ فمثَّلْنه ألفَ مرةٍ بألف طريقةٍ فى ألف حادثة !

يظنون أننا فى زمنِ إزاحةِ العقَباتِ النسائية واحدةً بعد واحدة ، من حرية المرأة وعلمها ؛ أما أنا فأرى حريةَ المرأة وعلمها لا يوجدان إلا العقباتِ النسائية عَقَبةً بعد عقبة . وقد كان عيبُ الجاهلةِ المقصورةِ فى دارها أن الرجل يحتالُ عليها ، فصار عيبُ المتعلّمةِ المفتوح لها البابُ أنها هى تحتالُ على الرجل ؛ فمرةً بابداع الحيلة عليه ، ومرة بتلقينه الحيلةَ عليها . والغريب فى أمر هـــذا العلم أنه هو الذى جعل الفتاةَ تبدأ الطريقَ المجهولَ بجهْل . . . !

قلت : وما الطريق المجهول ؟

قال : الطريقُ المجهولُ هو الرجل ، وإطلاق الحرية للفتاة أطلق ثلاثَ حريات : حريةُ الفتاة ، وحريةُ الحبّ ؛ والأخرى حرّيةُ الزواج . ولما انطلق ثلاثتهن معاً تغيّرَ ثلاثتهن جميعاً إلى فسادٍ واختلال . أما الفتاةُ فكانت فى الأكثر للزواج فعادت للزواج فى الأقلّ ، وفى الأكثر للهو والغزَل ؛ وكان لها فى النفوس وقارُ الأمّ وحرمةُ الزوجة ، فاجترأ عليها الشبّان اجتراءهم على الخليمة والساقطة ؛ وكانت مقصورةً لا تنالُ بعيبٍ ولا يتوجهُ عليها ذمٌ ، فمشتْ إلى عيوبها بقدمَيها ، ومشت إليها العيوب بأقدام كثيرة . . . وكانت بجملتها امرأةً واحدةً ، فعادت مما ترى وتعرف وتكابدُ كأنّ جسمها امرأة ، وقلبها امرأةٌ أخرى وأعصابها امرأةٌ ثالثة . . .

وأما الحبُّ ، فكان حباً تتعرّف به الرجولةُ إلى الأنوثة فى

قيودٍ وشروط ، فلما صار حرًّا بين الرجولة والأنوثة ، انقلبَ حيلةً تغترُّ بها إحداهما الأخرى ؛ ومتى صار الأمرُ إلى قانون الحيلة فقد خرج من قانون الشرف وعاد هذا الشرف نفسه وليس إلا كلمةً يُحتال بها

وأما الزواج ، فلما صار حرًّا جاء الفتاة بشبه الزوج لا بالزوج ، وضعفتْ منزلته وقلّ انفاقه وطال ارتقاب الفتيات له ، فضعف أثره فى النفس المؤنَّثة ؛ وكانت لفظتا الشابّ والزوج شيئاً واحداً عند الفتاة ومعنى واحد ، فأصبحتا كلمتين متميزتين ، فى إحداها القوةُ والكثرةُ والسهولة ، وفى الأخرى الضَّعف والقِلّةُ والتعذُّر ؛ فالكلُّ شبّان وقليلٌ منهم الأزواج . وبهذا أصبح تأثير الشاب على الفتاة أقوى من تأثير الشرف ، وعاد يُقْنِعها منه أخَسُّ براهينه ، لا بأنه هو مقنع ، ولكنْ بأنها هى مهيَّأةٌ للاقتناع . . .

وفى تلك الأحوال لا يكون الرجلُ إلا مغفَّلا فى رأى المرأة إذا هو أحبَّها ولم يكن محتالا حيلة مثله على مثلها ، ويظلّ فى رأيها مغفَّلا حتى يخدعها ويستزلّها ، فاذا فعل كان عندها نذلا لأنه فعل ، وهذه حريةٌ رابعة فى لغة المرأةِ الحُرةِ والزواجِ الحُر والحب الحُر !

وانظر — بعيشك — ما فعلت الحريةُ بكلمة (التقاليد) ، وكيف أصبحتْ هذه الكلمةُ السامية من مُبتذَل الكلام ومكروهه حتى صارت غيرَ طبيعية فى هذه الحضارة ، ثم كيف أحالتها لجعلتها فى هذا العصر أشهرَ كلمة فى الألسنة يُتَهكَّم بها على الدين والشرف وقانون العُرف الاجتماعىّ فى خوف المعرَّة والدنيئة والتصاون من الرذائل والمبالاة بالفضائل ؛ فكل ذلك (تقاليد) ..وقد أخذت الفتيات المتعلِّمات هذه الكلمة بمعانيها تلك ، وأجرَيْنها فى اعتبارهن مكروهةً وحشيةً ، وأضفن إليها من المعانى حواشىَ أخرى ، حتى ليكاد الأب والأمُّ يكونان عند أكثر المتعلمات من « التقاليد » . . أهى كلمةٌ أبدعتْها الحرية ، أم أبدعها جهلُ العصر وحماقتُه وفجُوره والحادُه ؛ أهى كلمةٌ تعلَّقتْها الفتيات المتعلمات لأنها لغةٌ من اللاغة ، أم لأنها من لغة ما يُحبِبن .. ؟

« تقاليد » ... ؟ فما هى المرأة بدون التقاليد ؟.. إنها البلادُ الجميلةُ بغير جيش ، إنها الكنزُ المخبوءُ مُعرَّضاً لأعين اللصوص تحوطه الغفلةُ لا الرقابة . هب الناسَ جميعاً شرفاء مُتعفِّفين ، فان معنى كلمةِ « كنز » متى تُركتْ له الحرية وأُغفل من تقاليد الحراسة ، أوجدت حريتُه هذه بنفسها معنى كلمة « لص » ..

* * *

قال صاحبُنا : أما الفتاة المحرَّرة من (التقاليد) . . كما عرفتُها فهى هذه التى أقصّ عليك قصتَها ، وهى التى جعلتنى أعتقد أن لكل فتاة رُشدَين يثبتُ أحدهما بالسِّن ويثبت الآخرُ بالزواج . ولو أن عانساً ماتت فى سن الخمسين أو الستين لوَجب أن يقال : إنها ماتت نصفَ قاصر ! ولعل هذا من حكمة الشريعة فى اعتبار المرأةِ نصفَ الرجل ، إذ تمامُ شرفها الاجتماعى أن يكون الرجلُ مضموماً إليها فى نظام الاجتماع وقوانينه ؛ فالزوجُ على هذا هو تمامُ رشدِ الفتاة بالغةً ما بلغت

وأساسُ المرأةِ فى الطبيعة أساسٌ بدنىٌّ لا عقلىّ ، ومن هذا كانت هى المصنعَ الذى تُصنَع فيه الحياة ، وكانت دائماً ناقصة لا تتمّ إلا بالآخر الذى أساسُه فى الطبيعة شأنُ عقلِه وشأنُ قُوته . .

واعتبرْ ذلك بالمرأة تَدرُس وتتعلّم وتنبغ ، فلو أنك ذهبتَ تمدحُها بوفور عقلها وذكائها ، وتقرِّظها بنبوغها وعبقريتها ، ثم رأتك لم تُلق كلمة ولا إشارة ولا نظرة على جسمِها ومحاسنها لتحوَّل عندها كلُّ مدحك ذماً وكلُّ ثنائك سخرية ، فان النبوغ هاهنا فى أعصاب امرأةٍ تريد أن تعرفَ مع أسرار الكون أسرارَ كونها هى ، هذا الكون البدنىُّ الفاتن ، أو الذى تزعمه هى فاتنا ، أو الذى لا ترضاه ولا ترضى أن تكون صاحبته ، إلا إذا وجدت من يزعم لها أنه كونٌ فاتنٌ بديعٌ مزينٌ بشمسه وقمره وطبيعته المتنضِّرة التى تجعل مَسه مَسّ ورق الزهر

مثل هذه إنما يكون الثناء عليها ثناء عندها حينما يكون أوّله باللسان العلمىّ ولغته ، وأكثرُه بالنظر الفنيّ ولغته . وهذا على أنها عالةُ الجنس ونابغته ، ودليلُ شذوذه العقلىّ ، والواحدة التى تجىء كالفلتةِ المفردة بين الملايين من النساء ؛ فكيف بمن دونها ، وكيف بالنساء فيما هنّ نساءٌ به ؟

دع جماعةً من العلماء يمتحنون هذا الذى بينتُ لك ، فيأتون

بامرأةٍ جميلة نابغةٍ ، فيضعونها بين رجال لا تسمعُ من جميعهم إلا : ما أعقلَها ، ما أعقلها ، ما أعقلها ! ولا ترى فى عينىْ كلٍّ منهم من أنواع النظر وفنونه إلا نظرَ التلميذ لمعلِّمةٍ فى سنِّ جدَّته .. فهذه لن تكون بعد قريب إلا فى حالة من اثنتين : إما أن يخرج عقلها من رأسها ، أو . . . أو تخرج فى وجهها لِحْية ... !

(ما أعقلها !) كلمةٌ حسنةٌ عند النساء لا يأبينها ولا يذممنها ، غير أن الكلمة البليغةَ العبقريةَ الساحرةَ هى عندهن كلمةٌ أخرى هى : (ما أجملها !) ، إن تلك تُشبه الخبزَ القَفارَ لا شىء معه على الخوان ، أما هـذه فهى المائدة مُزينة كاملة بطعامها وشرابها وأزهارها وفكاهتها وضحكها أيضاً

وكأن العقلَ الانسانىَّ قد غضب لمهانة كلمته وما عرَّها به النساء ، فأراد أن يثبت أنه عقلٌ فاستطاع بحيلته العجيبة أن يجعل لكلمة (ما أعقلها) كلَّ الشأن والخطر ، وكلَّ البلاغة والسحر عند ... عند الطفلة ... تفرح الطفلة أشدَّ الفرح ، إذا قيل : ما أعقلها ..!

* * *

فقلت لمحدِّثى : كأنك صادقٌ يا فتى ! لقد جلست أنا ذات يوم إلى امرأة أديبة لها ظَرفٌ وجمال ، وجاءت كبريائى فجلست معنا ... وكانت (التقاليد) كالحاشية لى ، فعلمت بعد أنها قالت لصاحبة لها : « لا أدرى كيف استطاع أن ينسى جسمى وأنا إلى جانبه أذكِّره أنى إلى جانبه ! لكأنما كانت لقلبه أبوابٌ يفتح ما شاء منها ويُغلق »

قال محدِّثى : فهذا هـذا ؛ إن إحساسَ المرأة بالعالم وما فيه من حقائق الجمال والسرور ، إنما هو فى إحساسها بالرجل الذى اختارته لقلبها ، أو تهمُّ أن تختاره ، أو تودُّ أن تختاره ؛ ثم إحساسها بعد ذلك بالصُّوَر الأخرى من رجلِها فى أولادها . وحياةُ المرأة لا أسرار فيها ألبتة ، حتى إذا دخلها الرجل عرفت بذلك أن فيها أسراراً ، وتبيَّنتْ أن هـذا الجسم الآخر هو فلسفةٌ عميقةٌ لجسمها وعقلِها

قال : وقد جلستُ مرةً مع صاحبة القصة ، وأنا مغضبٌ أو كالمغضَب . . ثم تلاحَيْنا وطال بيننا التلاحى ؛ فقالت لى : أنت بجانبى وأنا أسألُ : أين أنت ؟ فانك لستَ كلَّك الذى بجانبى !

قال : ومذهبى فى الحب ، الكبرياءُ ، كما قلت أنت ، غير أنها الكبرياءُ التى تدرك المرأةُ منها أنى قوىٌّ لا أنى مُتكبِّر ؛ كبرياءُ الرجل إمَّا مَهيبٌ مَرِحٌ يملكُ أفراحَ قلبها ، وإما حزينٌ مَهيبٌ يملك أحزانَ هذا القلب .

إن المرأة لا تحب إلا رجلا يكون أوَّلُ الحسن فيه حُسْنَ فهمِها له ، وأوَّلُ القوةِ فيه قوةَ إعجابها به ، وأوَّلُ الكبرياء فيه كبرياءَها هى بحبِّه وكبرياءَها بأنه رجل . هذا هو الذى يجتمع فيه للمرأة اثنان : إنسانها الظريف ، ووَحْشها الظريف !

* * *

قلت : لقد بعُدنا عن القصة ، فما كان خبرُ صاحبتك تلك ؟

قال : كانت صاحبتى تلك تعلم أنى متزوِّج ، ولكن إحدى صديقاتها أنبأتها بكبريائى فى الحب ، ووصفتنى لها صفة الاحساس لا وصفَ الكلام ؛ فكأنما تنبَّهتْ فيها طبيعة زَهْو الفتاة بأنها فتاة ، وغريزة افتتان الأنثى بأن تكون فاتنة ؛ فرأتْ فى إخضاعى لجمالها عملاً تعمله بجمالها .

ومتى كانت الفتاةُ مستخِفَّةً « بالتقاليد » كهذه الأديبةِ المتعلِّمة — رأت كلمةَ (الزوج) لفظاً على رجل كلفظ الحب عليه ، فهما سواءٌ عندها فى المعنى ، ولا يختلفان إلا فى (التقاليد)..

وعرَضَتْ لى كما يعرضُ المصارعُ المصارع ؛ إذ كانت من الفتيات المغرورات اللواتى يحسبْن أن فى قوّتهن العلميّة تياراً زاخراً لنهرنا الاجتماعىِّ الراكد ، فتاة تخرَّجتْ فى مدرسة أو كلِّية ، أو جاءت من أوربا بالعالميّة . . . أفتدرى أيةَ معجزةٍ مصريةٍ فى هذا تُباهى بها مصر ؟

إن المعجزة أن هذه الفتاة صارت مدرِّسة ، أو مفتِّشة ، أو ناظرة فى وزارة المعارف ؛ أو مؤلِّفة كتبٍ وروايات ، أو محرِّرة فى صحيفة من الصحف . ولا يَصْغُرَنَّ عندك شأنُ هذه المعجزة فهى والله معجزةٌ ما دام يتحقَّق بها خروجُ الفتاة من حكم الطبيعة عليها وبقاؤها فى الاجتماع المصرىِّ امرأةً بلا تأنيث ، أو انقلابُها فيه رجلا بلا تذكير ! وكيف لا يكون من المعجزات أنَّ تأليفَ رواية قد أغنى عن تأليف أُسرة ؛ وأن فتاةً تعيش

وتموت وما ولدت للأمّة إلا مقالات . . . ؟

فقلت : ياصاحبي ، دعْ هؤلاء وخذ الآنَ في حديث الطائشة الخارجة على التقاليد ، وقد قلتَ إنها عَرَضَتْ لك كما يعرض المصارعُ للمصارع

قال : عَرَضتْ لي تريد أن تصرّفني كيف شاءت ، فَنبوْتُ في يدها ؛ فزادت إلى رغبتها إصرارَها على هذه الرغبة ، فالتويتُ عليها ؛ فزادت إليهما خشيةَ اليأس والخيبة ، فتعسَّرْتُ معها ؛ فزادت إلى هذه كلّها ثورة كبريائها ، فلم أتسهّل ؛ فانتهت من كل ذلك بعد الرغبة الخيالية التي هي أول العبث والدلال ، إلى الرغبة الحقيقية التي هي أولُ الحب والهوى : رغبةٍ تعذيبي بها لأنها متعذّبة بي .

ثم ردّتها الطبيعةُ صاغرةً إلى حقائقها السلبيّة ، فاذا الكبرياءُ فيها إنما كانت خضوعاً يتراءى بالعصيان ، وإذا الرغبةُ في تعذيب الرجل إنما كانت التماساً لأن تنعمَ به ، وإذا الاصرار على إخضاع الرجل وإذلالِه إنما كان إصراراً على تجربته ودفعِه أن يستبدّ ويملك . وردّتها الطبيعة إلى هذه الحقيقة النّسوية الصريحة التي بُنيتِ المرأة عليها شاءتْ أم أبتْ ، وهي أن تعانى وتصبرَ على ما تعانى !

أما أنا فأحببتها حباً عقلياً ، وكان هذا يشتدُّ عليها ، لأنه إشفاقٌ لا حُبٌّ ؛ وكانت إذا سألتْني عن أمرٍ ترتاب فيه قالت : أجِبْني بلسان الصدق لا بلسان الشفقة . وكانت تقول : إن في عينيها بكاءً لا تستطيع أن تذيلهُ مع الدمع ، وسيقتلها هذا البكاءُ الذي لا يُبكَى ، وقد اتخذت لها في دارها خلوةً سمّتها : محرابَ الدمع ! قالت : لأنها تبكي فيها بكاءَ صلاةٍ وحبٍّ ، لا بكاءَ حب فقط !

ثم طاشتِ الطيْشةَ الكبرى . . . !

* * *

قلت : وما الطيشةُ الكبرى ؟

قال : إنها كتبتْ إلى هذه الرسالة :

« عزيزي رَغمَ أنفي » . . . .

« لقد أذللتني بشيئين : أحدهما أنك لم تَذِلَّ لي ، وجعلتني على تعليمي أشدَّ جهلاً من الجاهلة . وقد نسيتَ أن المرأة المتعلّمة تعرفُ ثم تعرف مرتين — : تعرفُ كيف تخطيء إذا وجب أن تخطيء ، أما المعرفة الثانية فتوهمها أنتَ فكأنى قلتها لك . .

اعلمْ « ياعزيزي رغمَ أنفي » ، أني إذا لم أكن عزيزتك رغم أنفك ، فسآتي ما يجعلك سلفاً ومَثَلا ، وستكتب الصحف عنك أوّلَ حادث يقع في مصر عن أوّل رجل اختطفتْه فتاة :.

وبعد ، فقد أرسلتُ روحي تعانق روحك ، فهل تشعر بها ؟ »

قال : فوجَمتُ ساعة وتبينتْ لي خفتها ، وظهر لي سَفاهها وطيشها ، فأمررتُ إليها خِفتها فأجدُها كالقاضي في محكمته ، لا عقل له إلا عقلُ الحكم القانونيّ الذي لا يتغير ، ولا إنسانَ فيه إلا الانسانُ المقيد بمادة كذا إذا حدث كذا ، والمادة كذا حين يكون وصفُ المجرم كذا . . . !

فقلت لها : أهذا هو العلمُ الذي تعلّمتِه ؟ ألا يكون علمُ المرأة خليقاً أن يجعل صاحبتَه ذاتَ عقلين إذا كانت الجاهلةُ بعقل واحد ؟

قالت : العلم ؟

قلت : نعم ، العلم

قالت : ياحبيبي ، إن هـذا العلم هو الذي وضعَ المسدّس في يد المرأةِ الأوربيّة لعاشقها ، أو معشوقها ؛ ثم أطرقت قليلاً وتنهدت وقالت : والعلم هو الذي جعل الفتاة هناك تتزوج بإرشاد الرواية التي تقرؤها ، ولو انقلب الزواجُ رواية . . . والعلم هو الذي كشف حجابَ الفتاة عن وجهها ، ثم عاد فكشف حياء وجهها ، وأوجب عليها أن تُواجهَ حقائق الجنسِ الآخر وتعرفها معرفةً علميّة . . . . والعلم هو الذي جعل خطأ المرأة الجنسيَّ مَعْفُواً عنه ما دام في سبيل مواجهة الحقائق لا في سبيل الهَرَب منها . . . والعلم هو الذي جعل المرأةَ مساويةً للرجل ، وأكّد لها أن واحداً وواحداً هما واحدٌ وكلاهما أوّل . . . . والعلم هو الذي عرّى أجسامَ الرجال والنساء ببرهان أشعةِ الشمس . . . والعلم ياعزيزي هو العلم الذي محا من العالم لفظةَ أمس ، لا يعرفها وإن كانت فيها الأديانُ والتقاليد . . .

* * *

قال صاحبها: فقلتُ لها: كأن العلم إفسادٌ للمرأة! وكأنه تعليمُ تمرّداتها ونقائصها، لا تعليمُ فضائلها ومحاسنها

قالت: لا، ولكنّ عقلَ المرأة هو عقلٌ أنثى دائماً؛ ودائماً عقلٌ أنثى؛ وفي رأسها دائماً جوُّ قلبها، وجوُّ قلبها دائماً في رأسها. فاذا لم تكن مدرستُها مُتمّمةً لدارها وما في دارها، تمّمتْ فيها الشارعَ وما في الشارع

العلم للمرأة، ولكن بشرط أن يكون الأبُ وهيبةُ الأب أمراً مقرّراً في العلم، والأخُ وطاعةُ الأخ حقيقةً من حقائق العلم، والزوجُ وسيادةُ الزوج شيئاً ثابتاً في العلم، والاجتماع وزواجرُه الدينيةُ والاجتماعية قضايا لا ينسخُها العلم. بهذا وحده يكون النساء في كل أمة مصانعَ عليّةً للفضيلة والكمال والانسانية، ويبدأ تاريخُ الطفل بأسباب الرجولة التامّة، لأنه يبدأ من المرأة التامّة

أما بغير هذا الشرط فالمرأةُ الفلاّحةُ في حجرها طفلٌ قذر، هي خير للأمة من أكبر أديبةٍ تخرج ذُرّيّةً من الكتب. . .

انظر — «يا عزيزي رغم أنفي» — هذه رسالة جاءتني اليوم من صديقتي فلانة الأديبة الـ . . . فاسمع قولها:

«وأنا أعيشُ اليوم في الجمال، لأني أعيشُ في بعض خفايا الحبيب . . .»

«وفي الحياة موتٌ حلوٌ لذيذ؛ عرفتُ ذلك حينما نسيتُ نفسي على صدره القويّ، وحينما نسيتُ على صدره القويّ صدري . . . .»

أسمعتَ يا عزيزي؟ إن كنت لمّا تعلَم أن هذا هو علم أكثر الفتيات المتعلمات حين يكسدُ الزواج – فاعلمْه. ومتى عَمِيَ الشعبُ والحكومةُ هذا العمى، فان حريةَ المرأة لا تكون أبداً إلا حريةَ الفكرةِ المحرّمة!

* * *

قلت لصاحبنا: ثم ماذا؟

قال: ثم هذا . . . . ودسّ يده في جيبه فأخرج أوراقاً كتب فيها رواية صغيرة أسماها: (الطائشة) ؟

(الرواية في العدد الآتي) (طنطا) مصطفى صادق الرافعي

٤ – لوكريسيا بورجيا

صور من عصر الاحياء

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت لوكريسيا الى جانب هذه الرعاية الأدبية التي تبذلها لأقطاب الشعر والأدب، تعاون زوجها في حكم ولايته معاونة قيمة؛ وكانت تتولى ادارة الشئون العامة أثناء غيابه، وتبدي في تصريفها حزماً وبراعة

وكان زواجاً موفقاً في البنين، فقد رزقت لوكريسيا بغلامين احدهما في سنة ١٥٠٨ ويدعى هرقل، والثاني في العام التالي ويدعى ايبوليت، ورزقت بعد ذلك بمدة أعوام بابنة دعيت ألينور، فغلام ثالث يدعى فرنشيسكو

وخاضت ايطاليا مدى حين حروباً أهلية طاحنة، وحملت فيرارا قسطها من هذه المعارك، وتقلبت في صعاب وأزمات شديدة؛ ولكن لوكريسيا كانت في هذه الأعوام العصيبة مثال الثبات والجلد، وكانت تعمل على تخفيف آلام الشعب ما استطاعت، وكان الشعب يحبها ويعتبرها كالأم الرؤوم

وكانت لوكريسيا عندئذ في عقدها الرابع، أمّاً ناضجة، وكأنما طوت كل مراحل هذه الحياة فتية؛ وكانت قد اختتمت منذ بعيد هذا العهد الضاحك الذي كان قلبها يشع فيه مرحاً وغبطة، واستقبلت عهداً جديداً تسوده الرزانة والخطورة، ويسوده الزهد والترفع عن متاع هذه الحياة، فكانت في أعوامها الأخيرة في فيرارا تذهب كل صباح الى «المترف»

أجل، كانت لوكريسيا تقترب بسرعة من الخاتمة المحتومة، ففي ١٤ يونيه سنة ١٥١٩ وضعت لوكريسيا طفلة ميتة، وكانت في أشهر حملها الأخيرة تشكو آلاماً مبرحة؛ وكان الوضع هو الضربة القاضية، إذ اشتدت عليها الآلام والمرض، وشعرت بقضائها يدنو؛ فأملت في يوم ٢٢ يونيه خطاباً وجهته الى البابا ليون العاشر، وفيه تلتمس من البابا أن يباركها في عبارات بليغة مؤثرة؛ وبعد ذلك بيومين فقط، كان القضاء المحتوم،